- حروب النوع الأدبى

فصلية تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب

العدد 84/83
خريف/شتاء
2013-2012

فصول

دراسات نقدية

Fossoul

الهيئة المصرية العامة للكتاب

- شواغل التراث والحداثة
- فى الشعر الجاهلى: طه حسين
- الحداد على الأرشيف

تحليل الخطاب

بين بلاغة الجمهور وسيميائية الأيقونات الاجتماعية

عماد عبداللطيف

منذ ظهور تحليل الخطاب فى ستينيات القرن العشرين، تتسارع وتيرة التحولات التى يشهدها هذا الحقل المعرفى المتنامى باستمرار. يتخذ هذا التنامى أشكالا متعددة؛ منها عدم الاقتصار على دراسة الخطابات التقليدية مثل: الخطابات السياسية والدينية وخطابات الأعمال الأدبية ودراسة خطابات حقول من المعرفة والخبرة والممارسة الإنسانية لمْ يؤلَف النظر إليها بوصفها خطابا مثل العلوم البحتة، والمرض، والرياضة. وفى الوقت الراهن فإن محللى الخطاب يدرسون- تقريبا- كل أوجه أنشطة التواصل الإنسانى؛ الشخصى والمؤسساتى والجماهيرى، فى جميع السياقات البشرية؛ مثل: العمل والمدرسة وأماكن الترفيه؛ وفى كل المجتمعات البشرية تقريبا على امتداد أرجاء العالم المعروف.

هذا الاتساع الهائل فى حقل تحليل الخطاب، توازى مع إعادة صياغة مستمرة لعلاقاته البينية مع العلوم الإنسانية القريبة. وهى علاقة أشبه بعلاقة الجداول والأنهار بالبحيرة الشاسعة التى تصبُّ فيها. فعلوم مثل: علم النفس والاجتماع والسياسة والبلاغة والآداب والفلسفة، لها وجود سابق على تحليل الخطاب، وكل منها أشبه بنهر مستقل يتقاطع أو يتماس بين الحين والحين مع غيره من الأنهار/ الحقول المعرفية، لكنه يظل محتفظا بخصوصيته التى تتجلى فى جهازه المفاهيمى والاصطلاحى من ناحية، وفى الظواهر التى يحظى بأولوية دراستها من ناحية أخرى. غير أن هذه الأنهار/ الحقول لا تسير فى طريقها إلى الأبد، بل عادة ما تنتهى إلى مصب قد يكون بحرا أو بحيرة. ويمكن القول إن تحليل الخطاب هو أشبه بالبحيرة التى تلتقى عندها مصبات كل العلوم الإنسانية تقريبا. فهو يستمد معظم جهازه المفاهيمى والاصطلاحى من هذه العلوم، لكنه فى المقابل يتيح لها شكلا آخر من الكينونة؛ حيث تعى نفسها بطريقة مختلفة. وعلى نحو دقيق فإنه يتيح لها أن تعى نفسها بوصفها خطابا. إن دراسات الخطاب تقتات بالفعل على منجزات العلوم الإنسانية الأخرى، لكنها تتيح لهذه العلوم- وهى تقتات عليها- أن تكتسب كينونة جديدة؛ تماما مثلما تتحول فروع الأنهار الصغيرة إلى بحيرة مترامية.

توازى اهتمام تحليل الخطاب بالخطابات غير التقليدية وتوثيق علاقاته بالعلوم الإنسانية مع

توسع آخر لا يقل أهمية فى طبيعة العلامات التى يتم تحليلها. لقد ارتبط تحليل الخطاب فى نشأته وبداياته باللغة بوصفها النسق العلاماتى الأهم فى التواصل بين البشر. وكان من آثار الدور المحورى الذى لعبته علوم اللغة والتداولية فى نشأته، أن اعتبر البعض تحليل الخطاب مجرد مستوى من مستويات التحليل اللغوى، يتم فيه تجاوز وحدة الصوت أو الحرف (التى يدرسها علم الأصوات والصوتيات)، ووحدة الكلمة (التى يدرسها علم الصرف من زاوية البنية وعلم المعجم من زاوية الدلالة)، ووحدة الجملة (التى يدرسها علم النحو)، ووحدة النص (التى يدرسها علم النص) إلى وحدة الخطاب؛ أى الملفوظات فى واقع تداولها الفعلى؛ حيث تُدرس ظواهر إنشاء الخطاب وإنتاجه واستهلاكه فى لحظة تاريخية وسياق اجتماعى محدد. غير أن هذا لم يكن صحيحا ولا نافعا. فعلى الرغم من أن علم اللغة قد أمد تحليل الخطاب بالفعل بقائمة ثرية من المفاهيم ولائحة مفيدة من أدوات التحليل؛ فإن تحليل الخطاب ليس مجرد مستوى من مستويات التحليل اللغوى؛ بل هو بالأحرى شكل من أشكال الدراسة الاجتماعية، يتحرك فى مناطق تلاقى علم اللغة والفلسفة والبلاغة وعلم النفس المعرفى وإثنوجرافيا التواصل وغيرها من العلوم(١).

إضافة إلى ذلك فإن اقتصار حقل تحليل الخطاب على دراسة العلامات اللغوية، كان سيؤدى فى حال حدوثه إلى خروج الحقل بأكمله من مجرى المعاصرة. فمنذ منتصف القرن العشرين بدا جليّا أن العالم يعيش زمن "العلامات المتعددة "multi-modality؛ حيث إنه فى معظم التجليات الخطابية الراهنة تتجاور الكلمة وتترابط وتتخاصم وتتعارض وتتساند مع الصورة واللون والحركة والإشارة والصوت والنغم ..إلخ. وكانت الروابط القوية بين السيميائية وتحليل الخطاب- التى وصلت إلى حد التداخل والاختلاط- انعكاسا لتشابك العلامات فى الخطابات الإنسانية المعاصرة. وليس من المستغرب أن الكثير من الجهد البحثى فى تحليل الخطاب فى اللحظة الراهنة ينصرف إلى تحليل علامات غير لغوية(٢). كما كان من الطبيعى- لنفس الأسباب- ظهور توجه كامل فى إطار تحليل الخطاب معنى بالتهجين العلاماتى(٣).

يمكن أن نضيف إلى التحولات الجذرية التى خضعت لها دراسات الخطاب تحولا آخر فى نوعية المقاربات التى تستخدمها فى معالجة موضوعات دراستها. لقد ترك التوجه التأسيسى فى تحليل الخطاب فى ستينيات القرن العشرين منجزا وصفيا للأبنية اللغوية المجاوزة للجملة. وفى الوقت نفسه كانت بعض توجهات تحليل الخطاب متأثرة بقوة بأفكار ميشال فوكوه ومدرسة فرنكفورت تؤسس مقاربة نقدية فى تحليل الخطاب.

لقد كانت المقاربة الوصفية، متورطة تماما فى تحليل نحو (أجرومية) الخطاب، وأعطت القليل للغاية من الاهتمام لما يُمكن تسميته بأجرومية المجتمع. وهكذا توارت التساؤلات الخاصة بكيفيات إنتاج الخطاب وتوزيعه واستهلاكه وسياقاتها، وما يفعله فى لحظة تاريخية معينة لصالح التوصيف الدقيق لمظهره وسماته. وفى المقابل بدا أن المقاربة النقدية للخطاب المتأثرة بفوكوه ومدرسة فرانكفورت تهتم بتحليل المفاهيم والمقولات على حساب تحليل كيفيات القول؛ وبدا أنها تتحول إلى أن تكون شكلا من أشكال النقد الإيديولوجى غير المعزز- فى كثير من الأحيان- بتحليلات لغوية نصية.

لقد تم تجسير هذه الفجوة إلى حد كبير فى إطار ما يُعرف بالدراسات النقدية للخطاب Crit-ical Discourse Studies أو التحليل النقدى للخطاب Critical Discourse Analysis(٤). وذلك بواسطة تبنى مقاربة تجمع بين الوصف التفصيلى للتجليات اللغوية والنصية للخطاب، وتحليل الحجج وأساليب البرهنة، ونقد علاقات السلطة التى تعبر عنها وتنتجها أو تقاومها وتؤسس بديلا لها.

اقترن هذا الجمع بين المنهج الوصفى والنقدى بالجمع بين الطريقة الكمية والكيفية فى دراسة الخطاب. فقد كان الاعتماد المتزايد على علم لغة المدونات Corpus Linguistics، أحد أبرز تطورات دراسات الخطاب فى العقد الماضى. وهو ما مكَّن من تحويل استبصارات المشتغلين بالخطاب إلى قيم عددية، مثل: معدل تكرار أو تواتر مفردات أو عبارات أو تعبيرات أو ظواهر لغوية أو سيميوطيقية معينة فى الخطاب. ولم تعد عمليات إنتاج معنى الخطاب أو شرحه أو تفسيره تتم فى فضاء تأويلى مغلق؛ حيث توضع الذات المؤولة فى مواجهة النص مباشرة، بل أصبح يوجد وسيط بينهما هو النتائج التى يقدمها التحليل الكمى للنصوص(٥).

لقد أدى اهتمام الدراسات النقدية للخطاب بالعلاقة بين الخطاب والسلطة، إلى فتح آفاق رحبة أمام تأسيس مقاربة معيارية فى تحليل الخطاب. فقد رأى الدارسون الناقدون للخطاب كيف يُمارِس كثير من الخطابات أشكالا من التمييز والهيمنة والعنصرية والسيطرة والقهر ضد شرائح أو جماعات أو أعراق أو أقليات معينة. وظنوا- عن صدق- أن تغيير الخطاب قد يكون مدخلا لتغيير المجتمع. وبشكل أكثر دقة، فقد آمنوا بأنه يمكن إلى حد كبير التخفيف من الآثار السلبية للامساواة الاجتماعية التى تتجلى فى كثير من الخطابات العامة بواسطة إنتاج خطابات تُضعف هذه اللامساواة وتقوضها أو على الأقل تخلو منها. ومن ثمَّ، كرَّس بعض دارسى الخطاب شطرا من اهتماماتهم لمعالجة كيفية إنتاج خطابات حرة عادلة غير تلاعبية ولا تمييزية(٦). وبذلك فإن الكثير من الدراسات النقدية للخطاب- فى اللحظة الراهنة- تنطوى على ممارسة وصفية لأبنية الخطاب وتشكلاته، وممارسة نقدية لعلاقات السلطة القارة فيه، وممارسة معيارية موجهة لإنتاج خطابات أقل تلاعبا وسلطوية وأكثر عدالة وتحررا.

هذا الرصد- شديد الإيجاز- لبعض تحولات حقل تحليل الخطاب سوف يؤثر بقوة فى محتوى البحث الحالى؛ فسوف أقدم مساهمتين تُعدان استجابة لبعض هذه التحولات، وإضافة لها فى الوقت ذاته. المساهمة الأولى نشأت نتيجة إدراك التداخل المتعاظم بين تحليل الخطاب والعلوم الإنسانية القريبة، وتتضمن تقديم نموذج للتضافر المنهجى الذى يمكن أن يوجد بين التحليل النقدى للخطاب عند نورمان فيركلف وأحد توجهات البلاغة العربية هو بلاغة المخاطَب (الجمهور)(٧). وسوف أقدم الأسس النظرية لهذا التضافر، كما أحلل حدثا خطابيا بشكل تفصيلى لإبراز الإمكانيات البحثية الواعدة التى يمكن أن تنتج عن هذا التضافر. أما المساهمة الثانية فتتضمن تحليلا لبعض العلامات غير اللغوية من منظور نقدى. وعلى وجه التحديد، فسوف أحلل- من زاوية خطابية- أيقونة بصرية رائجة فى الخطاب العام الراهن المتعلق بالربيع العربى؛ هى صور الميادين (بخاصة ميدان الاحتجاج الأشهر: ميدان التحرير بالقاهرة).

المساهمة الأولى: مقترح للدمج بين التحليل النقدى للخطاب وبلاغة الجمهور

يحدد فان ديك أحد أبرز المشتغلين بالتحليل النقدى للخطاب- موضوع التحليل النقدى للخطاب Critical Dis course Analysis - بأنه "دراسة الكيفية التى يقوم بها النص والكلام بتقنين وإنتاج ومقاومة اعتداءات السلطة" الاجتماعية وهيمنتها ولا مساواتها"، وأن المحلل الناقد للخطاب يسعى إلى فهم اللامساواة الاجتماعية والكشف عنها تمهيدا لمقاومتها. ومن ثمَّ فإن التحليل النقدى للخطاب له توجه عام هدفه توعية البشر بالتأثيرات المتبادلة بين اللغة والبنى الاجتماعية، تلك التأثيرات التى لا يعيها البشر غالبا(٨).

أما نورمان فيركلف- المؤسس الأبرز للتحليل النقدى للخطاب- فيرى أن الوعى الذى يحققه الاطلاع على نماذج من استخدام اللغة أداة للقهر والهيمنة يمكن أن يكون حافزا على المقاومة

والتغيير. وهو، وإن كان يثق فى قدرة البشر على الخلاص من الهيمنة التى يمارسها بشر آخرون؛ فإنه يربط هذه القدرة بتطور وعى نقدى بهذه الهيمنة وأوضاعها. ويتحقق الوعى عن طريق التحليل النقدى للظواهر اللغوية والسيميوطيقية للخطاب؛ مثل المفردات والنحو والعلاقات النصية، والصورة والحركة..إلخ. ومن ثمَّ، يندرج المحللون الناقدون للخطاب فى تحليلات تفصيلية لهذه العناصر، ويقومون بشكل مستمر بتأويلات تربطها بعلاقات السلطة فى المجتمع(٩).

تتعدد المقاربات التى تعمل فى إطار التحليل النقدى للخطاب، لكنها تشترك فى المنطلق اللغوى لتحليلاتها؛ استنادا إلى أن اللغة مجلى للسلطة. وربما كان هذا الفهم العام للعلاقة بين السلطة والخطاب جزءا من المشترك العام بين ممارسى التحليل النقدى للخطاب". ولا يُعد الاختلاف فى الأسس النظرية التباين الوحيد بين هذه المقاربات، إذ ثمة اختلاف فى إجراءات التحليل، وآخر فى الظواهر المدروسة. فعلى الرغم من أن هذه المقاربات تتفق فى اتخاذ اللغة والظواهر السيميوطيقية موضوعا لدراستها؛ فإنها تختلف- إلى حد كبير- فى تحديدها للظواهر التى يراها كل توجه جديرة بالدرس. وهو ما قد يرجع إلى الاختلاف فى التقييم النسبى لقدرة كل ظاهرة على الإفصاح والكشف عن السلطة التى يمارسها منتج اللغة ويبتغيها.

يجمع التضافر الذى أقترحه فى هذا البحث بين بلاغة الجمهور وتوجه نورمان فيركلف فى تحليل الخطاب. يستند الإطار التحليلى للتحليل النقدى للخطاب عند فيركلف إلى تصوره للحدث الخطابى؛ فهو يرى أن أى حدث خطابى له ثلاثة أبعاد هى: كونه نصا text، وكونه ممارسة خطابية discursive practice، وكونه ممارسة اجتماعية social practice. وبإزاء كل بُعد من هذه الأبعاد يوجد مستوى من مستويات التحليل. المستوى الأول هو تحليل النص، ويدرس الملامح اللغوية للخطاب وتنظيم مكوناته الملموسة مثل: المفردات والتركيب والسبك وبنية النص(١٠). المستوى الثانى هو تحليل الممارسات الخطابية؛ أى تحليل الخطاب بوصفه شيئا يُنتَج ويُوزَّع ويُستهلك فى المجتمع. ويرى بلومارت وبولكن أن مقاربة الخطاب بوصفه ممارسة خطابية يعنى أنه أثناء تحليل المفردات والنحو والسبك وبنية النص يجب أن يتوجه الاهتمام إلى أفعال الكلام والحبك والتناص، وهى عناصر ثلاثة تربط النص بسياقه(١١). المستوى الثالث هو تحليل الممارسات الاجتماعية؛ أى التأثيرات الإيديولوجية وعمليات الهيمنة التى يُعد الخطاب مظهرا لها.

ثمة بُعد غائب فى الإطار التحليلى الذى اقترحه فيركلف، وتم تطبيقه فى عشرات- وربما مئات- الدراسات الأكاديمية. هذا البعد يخص العلاقة بين الخطاب والاستجابات الفعلية للجمهور الذى يتلقاه. لقد أقر فيركلف فى سياق تناوله للممارسات الخطابية بالأهمية التى تحظى بها طريقة استهلاك النصوص بواسطة المخاطَبين بها، وذلك فى تناوله لطور استهلاك الخطاب discourse consumption. وعلى الرغم من ذلك؛ فإن استهلاك الخطاب- وفقا لفيركلف- ينحصر فى طرق إنتاج المعنى وليس طرق الاستجابة للخطاب. وقد حاولتُ تجسير هذه الفجوة فى الإطار الذى اقترحه فيركلف لتحليل الخطاب، بواسطة اقتراح توجه فى الدراسة يبحث فى العلاقة بين الظواهر اللغوية المكونة لخطاب ما، والاستجابات الفعلية التى يُنتجها المُستهدفون بهذا الخطاب، والعلاقة بين علاقات السلطة واستجابات الجمهور، وأساليب التلاعب بهذه الاستجابات. وقد أطلقت على هذا التوجه اسم بلاغة المخاطَب/الجمهور.

تقترح بلاغة الجمهور أن استجابة الجمهور ربما تمثل المدخل الطبيعى لدراسة العلاقة بين الخطاب والسلطة. فسلطة الخطاب، تتجلى أساسا فى الآثار التى يُحدثها فى استجابة الجمهور. ومن

ثَّم، فإن القيود والمحددات التى تفرضها الظواهر اللغوية على استجابة الجمهور قد تُعتبر معيارا لتحديد ما هو سلطوى. كما أن نجاح خطاب سلطوى ما فى تحقيق وظائفه، يُقاس أساسا بقدرته على السيطرة على استجابات مستهلكيه. إن السلطة لا تمارَس من خلال اللغة فقط، وإنما أيضا من خلال الاستجابات الموجَّهة التى تتعاضد معها، فجمهور الخطبة السياسية مثلا لا يتأثر بأداء السياسى ولغته أثناء الخطبة فحسب، بل أيضا بردود الفعل التى قد يقوم بها الجمهور الفعلى الذى يحضر الخطبة. ومن ثمَّ فإن مقاومة الخطاب السلطوى لا تكون بالكشف عن العلاقة بين الخطاب واستجابة الجمهور فقط، بل كذلك من خلال إجهاض قدرته على التحكم فى استجابات مستهلكيه، وتعرية الاستجابات المتواطئة معه.

سوف أقوم- على مدار الصفحات التالية- بعرض نموذج تطبيقى لكيفية الإفادة من التحليل النقدى للخطاب وبلاغة الجمهور فى دراسة حدث تواصلى حصد قدرا هائلا من الاهتمام على المستوى العربى والعالمى؛ هو خطبة أوباما للعالم الإسلامى التى ألقاها فى الرابع من يونيه عام ٢٠٠٩. وسوف أدرس على وجه التحديد تعليقات جمهور المشاهدين على الجزء الأول من أحد تسجيلات الخطبة، تم بثه عبر الإنترنت فى نفس يوم إلقائها، وذلك على الرابط الآتى:

"http://www.youtube.com/watch?v=zhwVZAhURWA

تاريخ الدخول ١٠ أبريل ٢٠١٢. وقد اخترت هذا الجزء نظرا لأنه تضمن العدد الأكبر من التعليقات على خطاب أوباما من بين كل التسجيلات المتاحة على الإنترنت. وقد بلغ عدد هذه التعليقات ١٤٧ تعليقا، تراوح طول كل منها بين جملة قصيرة وعدة فقرات، وتوزعت على سبع صفحات على الإنترنت.

سوف أقسِّم دراستى لهذا الحدث الخطابى إلى جزءين. أُقدِّم فى الجزء الأول رصدا لملامح التغير فى العلاقة بين الجمهور والخطابات الجماهيرية بفضل تقنيات التواصل الافتراضى. أما فى الجزء الثانى فأقدم تحليلا تفصيليًا لتعليقات جمهور مشاهدى الخطبة، مركزا على العلاقات المتنوعة بين سلطة الخطاب الأصلى وسلطة الجمهور.

من بلاغة النص إلى بلاغة الجمهور: عصر استجابات الجمهور

أحدث انتشار وسائل الاتصال الجماهيرى منذ مطلع القرن العشرين تحولا كبيرا فى درجة مشاركة الأشخاص العاديين فى الشأن العام فى معظم دول العالم. فقد أدى الانتشار الطاغى للصحف المطبوعة والإنتاج الكثيف للراديو والتليفزيون إلى تغلغل الخطاب العام فى حجرات معيشة الإنسان العادى فى كل أطراف الأرض من أقصاها إلى أقصاها. كان هذا التحول عاملا حاسما فى بزوغ ما أصبح يُعرف بـ"عصر الجماهير الغفيرة"(١٢). وهو تعبير يحمل ضمنيا دلالة أن ظاهرة الجماهير الغفيرة ملمح مميز للعصر الذى نعيشه؛ نظرا لأن قدرة وسائل الإعلام الجماهيرية على مخاطبة أعداد لا حصر لها من البشر فى الوقت نفسه- متجاوزة قيود المكان- كان لها تأثير بالغ الخطورة فى معظم الأنشطة البشرية فى القرن العشرين. وعلى الرغم من أن التعبير قد يعكس- فى أحد أبعاده- القوة النسبية التى يستحوذ عليها الجمهور فى حقل التواصل العام؛ فإن التعبير ينطوى على دلالات أخرى مناقضة، ربما كانت هى الأكثر دلالة على جوهر القرن العشرين.

وسائل الإعلام الجماهيرى وصناعة تعليب العقول

لقد أدرك بعض البشر القوة الهائلة الكامنة فى وسائل الإعلام الجماهيرى؛ من حيث قدرتها على التأثير فى توجهات الجمهور وأفكاره ومعتقداته وتصوراته لنفسه وللعالم؛ ومن ثمَّ قدرتها على

توجيه أفعاله والتحكم فيها. وتزامن ذلك مع تنامى الاتجاه نحو أشكال مختلفة من أنظمة الحكم الديمقراطى التى تعطى لهذه الجماهير- نظريا على الأقل- الدور الحاسم فى صياغة شكل المجتمع والحياة التى يريدون معيشتها. وهكذا بدا بوضوح أن من يستطيع السيطرة على وسائل الإعلام الجماهيرى يصبح هو الأكثر تأثيرا فى الجمهور، ومن ثمَّ الأكثر قدرة على صياغة شكل المجتمع والحياة. وبذلك غدا التحكم فى الجمهور، والسيطرة عليه وتوجيهه، أبرز غايات الفئة المسيطرة على وسائل الإعلام. وهى فئة عادة ما ضمَّت الطبقات الحاكمة فى بقاع العالم، متحالفة مع كبار رجال المال والدين والنخب الفكرية. ونتيجة لذلك، شهد القرن العشرين أضخم مشروعات التلاعب بالجمهور، وأكثرها تأثيرا على مدار الإنسانية. وأصبحت "صناعة تعليب العقول"؛ أى خلق مواطن كونى يفكر ويسلك بطريقة تخدم من يمتلكون السلطة؛ أبرز أنشطة وسائل الاتصال الجماهيرى وأكثرها خطورة.

لم يكن يحلم أكثر السياسيين أو رجال الأعمال تفاؤلا أنه سيأتى ذلك اليوم الذى يسيطرون فيه- مدعَّمين بمهارات جيش جرار من الخبراء، وعتاد هائل من البحوث- على عقول ملايين البشر، ليوجهوهم حيث يشاءون ويرغبون. ونظرة سريعة إلى عشرات الملايين التى سيقت- بإرادتها- نحو آتون حروب لا ناقة لهم فيها ولا جمل، ومئات الملايين الأخرى التى أصبحت تعبد الموضة وكرة القدم كفيلة بأن تضع أيدينا على النجاح الهائل الذى حققه من تحكموا كلية فى "عصر الجماهير الغفيرة".

مَنْ لا صوت لهم:
مفارقات عصر الجماهير الغفيرة

فى ظل سيطرة من يملكون وسائل الاتصال الجماهيرى على بعض أهم أدوات صياغة العقول والنفوس فى العالم المعاصر، تنامت ظاهرة "منْ لا صوت لهم "voiceless"؛ أى الأفراد أو الجماعات أو الأفكار ممن لا يستطيعون أن يشقوا طريقا إلى الخطاب العام، نظرا لعدم تمكنهم من النفاذ إلى وسائل الإعلام الجماهيرى. ونتجت عن ذلك واحدة من مفارقات القرن العشرين، هى وصول السيطرة على حقل المعلومات إلى حدها الأقصى، على الرغم من وجود آلاف المنافذ المتاحة- نظريا- لتوزيعها. وزاد من وطأة هذه المفارقة أن معظم منافذ الإعلام الجماهيرى ظلت حتى أواخر القرن العشرين حاملة لخطابات ذات بُعد واحد، غالبا ما تخدم بشكل أساسى مصالح الأفراد أو المؤسسات التى تملكها وتديرها، والأنظمة والقوى التى تتحالف معها.

اعتادت هذه المنافذ أن ترسل رسائلها المرئية أو المقروءة أو المسموعة لجمهور لم يكن يملك إنتاج استجابة مقابلة تحظى بنفس إمكانيات الانتشار ونفس القوة الرمزية التى تحظى بها الرسالة الأصلية. فقراء الصحف الورقية أو مستمعو الإذاعات المحلية والدولية أو مشاهدو السينما والتليفزيون، لم يكن بوسعهم- بأية حال- أن يُنتجوا خطابات تفنيدية أو مقاومة أو موازية لما يقرءونه أو يسمعونه أو يشاهدونه، توزَّع على نطاق واسع، بدرجة قد توازن تأثير الخطاب الأصلى. وهكذا تجمعت كل القوى التى تتيحها وسائل الاتصال الجماهيرى فى أيدى القلة التى تسيطر عليها؛ سواء أخذت شكل أنظمة حاكمة أم مالكى أسهم أم ملكيات عائلية..إلخ.

حتى فى بعض السياقات التى كانت تتطلب دمج جمهور فعلى فى الأحداث التواصلية الجماهيرية التى تنقلها وسائل الإعلام مثل تلقى الخطب السياسية أو برامج التوك شو، لم تكن تُترك للجمهور- عادة- إمكانية إنتاج استجابات حرة، بل كان يتم تنظيم هذه الاستجابات والسيطرة عليها؛ إما بواسطة اختيار الجمهور بعناية ليقوم بالاستجابات المتوقعة منه، أو بفرض قيود صارمة على الاستجابات غير المحببة تزيد من

صعوبة إنتاجها من ناحية، وتُخضِع من يُغامر بإنتاجها لأشكال عديدة من العقاب من ناحية أخرى. لكن العالم فى مطلع القرن الحادى والعشرين كان على وشك أن يقفز قفزة جديدة، بدا أنها سوف تعيد بشكل جذرى صياغة خريطة إنتاج الخطابات الجماهيرية وتوزيعها.

عصر استجابات الجمهور

لقد كانت التكنولوجيا التى أتاحت لشرائح محدودة من البشر التسلط على عقل البشرية بأكمله هى ذاتها التى أتاحت فى العقد الأخير نوافذ أمل للفكاك من هذا التسلط. فقد تزايدت المساحة التى يستطيع من خلالها الفرد العادى فى أى مكان من العالم أن يستجيب بفاعلية لرسائل الإعلام الجماهيرى، وأن يبث فى المقابل رسائله الشخصية على نطاق واسع، ربما لا يقل مداه- فى بعض الأحيان- عن مدى الرسالة الأصلية، بفضل انتشار وسائط الاتصال التفاعلية مثل الصحف الإلكترونية التى تتيح تعليقات الجمهور، وبرامج التليفزيون التى تتيح التعليق الآنى على بثها، إما على مواقعها الإلكترونية أو عبر الرسائل التى تظهر فى الأشرطة التفاعلية أسفل الشاشة، ومواقع البث الشخصى للمقاطع المرئية والمصورة مثل: يوتيوب، والإذاعات الشخصية التى تبث مباشرة على الإنترنت، وصفحات الإنترنت الشخصية، سواء أكانت فى شكل مدونات أم مواقع شخصية، أم حسابات شخصية فى مواقع التواصل الاجتماعى على الفيس بوك أو التويتر. إن نظرة سريعة على حجم تدفق المعلومات على النطاق العالمى تشى بما لا يدع مجالا للشك، بأن دور الأفراد العاديين فى تزايد وتنامٍ مستمر.

ما يعنينا هنا بالأساس هو التغير الجذرى الحادث فى قدرة الجمهور على الاستجابة الفعالة للخطابات التى يتلقاها، ومدى قدرة الاستجابات التى يقوم بها على النفاذ إلى ساحة الخطاب العام[١٣]. فلم يعد الجمهور الغفير مجرد مستقبل سلبى لوسائل الإعلام الجبارة؛ لم يعد مستمع الإذاعة أو قارئ الجريدة أو مشاهد التليفزيون أو متصفح الإنترنت يتلقى ما يُلقى إلى سمعه أو يمر أمام عينيه فيُعمِل فيه فكره، ويستخرج معناه فحسب، بل أصبح هذا المتلقى يستطيع نشر رأيه وموقفه مما قرأه أو سمعه أو شاهده، فى شكل استجابات خطابية مباشرة آنية، قد تكون مواجهة لما تلقاه فتؤيده أو تفنده، تستحسنه أو تستهجنه، تؤكد مصداقيته أو تنزعها عنه، أو تكون موازية له فتضيف إليه أو تستبدله، أو تكون على هامشه فتقدم خطابها الخاص الذى قد لا يمت للخطاب الأصلى بصلة. وهكذا ظهر إلى الوجود ما أُطلِق عليه "عصر استجابات الجمهور". فبفضل التكنولوجيا التفاعلية أصبح الجمهور العادى قادرا للمرة الأولى فى تاريخ البشرية على إنتاج استجابات للرسائل التى يتلقاها، لها نفس انتشار الرسائل الأصلية التى يستجيب لها، ودرجة لا تقل كثيرا عن قوتها الرمزية.

خصائص استجابات الجمهور فى الفضاء الافتراضى

إضافة إلى المدى الهائل للانتشار، تتسم هذه الاستجابات الجديدة بعدة خصائص تميزها عن أشكال الاستجابات الأخرى التى كانت متاحة للجمهور فيما مضى. هذه الخصائص هى:

١) الآنية

لقد كان باستطاعة الجمهور فيما مضى إنتاج استجابات للرسائل التى يتلقاها عبر وسائل الإعلام. لكن هذه الاستجابات عادة ما كان يتم توزيعها فى زمن لاحق على زمن إنتاج الرسالة الأصلية. فبريد القراء فى الصحف الورقية كان يتيح نشر بعض استجابات القراء لكن فى زمن لاحق للرسالة الأصلية. أما استجابات الجمهور فى الوقت الراهن فإنها توزَّع وتستهلك تقريبا فى نفس زمن توزيع الرسالة الأصلية واستهلاكها؛

وذلك لأن الوسائط التى تنشر هذه الاستجابات- مثل صفحات الإنترنت- غير محدودة بقيود مشابهة لتلك التى تقيد الوسائط القديمة مثل الصحف الورقية أو البث الإذاعى.

٢) ضعف الخضوع للرقابة وإعادة المعالجة

كانت استجابات الجمهور عادة ما تخضع لأشكال عديدة من الرقابة، يتم أثناءها استبعاد الاستجابات غير المرغوب فيها وإعادة تحرير ومعالجة استجابات أخرى. أما الاستجابات الراهنة فإنها تتمتع بمساحة أكبر من الحرية والنفاذ. بالطبع لا تزال هناك بعض محددات للاستجابة فى بعض الفضاءات تخص كم الكلمات المكتوبة أو طبيعة الكلام المكتوب وأسلوبه. كما توجد استجابات موجَّهة وأخرى منظَّمة بواسطة جماعات أو قوى معينة، بمثل ما توجد أشكال من الاستبعاد المنظم لبعض الاستجابات. غير أن هذه الممارسات لا تُقارن بالقيود القديمة على استجابات الجمهور. وهذه المحددات عادة ما يتم القفز عليها نظرا لتعدد منافذ توزيع استجابات الجمهور، ووجود فضاءات شخصية لا تخضع لأى قيود خارجية تقريبا.

٣) ضخامة حجم الاستجابات وتعدد أنواعها

عادة ما كانت استجابات الجمهور فى وسائل الإعلام غير التفاعلية محدودة فى حجمها مقارنة بالرسائل الأصلية، كما أنها عادة ما كانت تُصاغ فى شكل رسائل لغوية فحسب. على خلاف ذلك فإن استجابات الجمهور فى الوقت الراهن لا تواجه أى قيود فى الحجم، وكثيرا ما يتجاوز حجم بعض الاستجابات حجم الرسالة الأصلية. وعلى النحو ذاته، تتعدد فى الوقت الراهن أنواع استجابات الجمهور؛ فقد تأخذ شكل رسائل لغوية أو شكل تسجيلات مسموعة أو مرئية أو شكل رسائل بصرية مثل اللوحات أو الإشارات الحركية.

٤) قابلية تجهيل المصدر وصعوبة التتبع

فقد أتاحت وسائل الاتصال الإلكترونية إمكانيات لا حصر لها لتجهيل مصدر استجابات الجمهور، فالأسماء المستعارة أو الرموز واستخدام الحواسيب العامة أو الهواتف النقالة، كلها وسائل تتيح تجهيل مصدر الاستجابة. ومن ثمَّ، يمكن معرفة القليل للغاية عن هوية منتج الاستجابة سواء من ناحية العمر أو النوع أو الجنسية..إلخ. وفى الواقع؛ فإن القليل من المواقع الإلكترونية هى التى تطلب معلومات شخصية حقيقية عن مصدر مُنتِج الاستجابة، ويندر أن تتحقق هذه المواقع من كون هذه المعلومات دقيقة أو صادقة، ويصعب كثيرا هذا التحقق إن أرادته. ويترتب على ذلك صعوبة إمكانية تتبع هذه الاستجابات، وصعوبة القدرة على ضبط منتهكيها فى حال ما خالفت القوانين، أو ارتكبت إحدى جرائم الكلام مثل الحض على الكراهية أو التحريض على العنف. هذه الخاصية تتيح- من ناحية- مساحة هائلة لحرية الاستجابة، وتفسر- من ناحية أخرى- حرص بعض المواقع على وضع ضوابط أو معايير لقبول الاستجابات، وقد تتيح للجمهور ذاته حذف استجابات أفراد آخرين إذا رأى أنها غير لائقة؛ بعد عدد معين من طلبات الحذف.

٥) سهولة القابلية للحصر والقياس

كل شىء قابل للحصر والقياس على الفضاء الافتراضى، ولا تشذ عن ذلك استجابات الجمهور، فتعليقات الجمهور على الخطاب الأصلى، وإعادة إرساله، ووضعه أو حذفه من دائرة التفضيلات، وغيرها من الأفعال، يمكن قياسها وحصرها وتفسير العلاقة بينها وبين الخطاب الأصلى.

تكشف الخصائص السابقة عن الإمكانيات الهائلة لاستجابات الجمهور، والقوة العظيمة التى تنطوى عليها. ولكى توظَّف هذه الإمكانيات على أفضل نحو ممكن، لابد من إعادة النظر فى العلوم

التى أسهمت فى تشكيل خطابات السلطة القديمة، لكى تنجز أهدافا جديدة ربما كانت أكثر نبلا وأخلاقية، ويأتى على رأس هذه العلوم علم البلاغة.

من بلاغة السلطة إلى بلاغة الجمهور

على مدار قرون عديدة كانت البلاغة أداة يستطيع من يتقن استخدامها أن يسيطر- إلى درجة ما- على الآخرين. وقد ذكر جورجياس- وهو أحد أشهر معلمى البلاغة فى تاريخ اليونان القديم- فى محاورة حملت اسمه خصصها أفلاطون لنقد البلاغة، أن هؤلاء الذين يعرفون كيف يتكلمون، وكيف يقنعون الجمهور، يتمكنون من تسخير الجمهور لخدمتهم، ويمكنهم بسهولة سلب هذا الجمهور ما يمتلكه(١٤). لقد تعدد الفاعلون الاجتماعيون ممن يقومون فى الوقت الراهن بالمهمة التى كان يقوم بها الخطيب قديما (أى إخضاع الناس لإرادته تمهيدا لاستغلالهم)؛ مثل محررى الخطاب the ghost writers، واختصاصى التضليل الإعلامى spin-doctors، وخبراء الدعاية، والمتحدثين بالإنابة spokes-men، وبعض رجال الدين الرسميين.. إلخ. كما أن المستفيدين الأساسيين من هذا الإخضاع ليسوا هم هؤلاء التقنيين، وإنما من يعملون لحسابهم. ومع ذلك فإن الارتباط بين البلاغة والسلطة ما زال قائما وفاعلا.

فى مواجهة هذه الهيمنة التى تمارسها بلاغة السلطة، وللإفادة المثلى من عصر استجابات الجمهور، لا مفر من تأسيس بلاغة للجمهور تسعى إلى تخليص علم البلاغة من جزء من تاريخه السلبى الطويل فى خدمة السلطة على حساب الجمهور. هذه البلاغة الجديدة غايتها إمداد الإنسان العادى، الذى يشكل اللبنة الأساسية للجمهور، بمعرفة تمكنه- فى حال تعرضه لخطاب ما- من الكشف عن تحيزات هذا الخطاب، ومبالغاته، ومغالطاته، ومفارقاته للواقع، وتناقضاته الداخلية والأغراض التى يسعى إلى إنجازها. وذلك حتى يتمكن من التمييز بين خطاب سلطوى يسعى إلى السيطرة عليه، وخطاب يسعى إلى تحريره. لكن الغاية الأهم لهذه البلاغة هى تدريب الإنسان العادى على إنتاج استجابات بلاغية فعالة تجاه كل ما يتلقاه، تمكّنه من مقاومة الخطابات المتلاعبة التى تستهدف تضليله والسيطرة عليه، وفضحها، وإنتاج خطاب بديل يخلو من التلاعب والتضليل.

لقد آمن أفلاطون بأن غاية بلاغة السلطة هى التلاعب بالمستمعين من قِبَل أناس غير مخلصين فى دوافعهم بشكل جذرى(١٥). وما يمكن أن تقوم به "بلاغة الجمهور هو إيجاد غاية جديدة للبلاغة، تتمثل فى تقويض إمكانيات استخدام اللغة للتلاعب بالجمهور من قِبَل هؤلاء "غير المخلصين"، وتمكين الأفراد العاديين من التوظيف الأمثل لاستجاباتهم. وهى تجعل بذلك علم البلاغة فى خدمة الطرف الأضعف فى عملية الاتصال الجماهيرى- أعنى الجمهور- مستهدفة زعزعة هيمنة سلطة الخطاب وخطاب السلطة؛ بحيث يصبح الجمهور ممتلكا بشكل فعلى حرية الإرادة والفعل بما يحول دون وقوعه ضحية الخداع أو التضليل. إنها بلاغة تعمل على تخليص البشر من كل ما يعمل على تشويه الفهم والاتصال، وهو ما قد يؤدى إلى خلق اتصال حر؛ لا تشوهه أشكال عدم التكافؤ الاجتماعى، أو القمع الخارجى، أو القهر الداخلى، وتعزِّز من قدرة الجمهور على إنتاج خطابات مقاومة وتحررية، لتجعل من العصر الذى نعيشه بالفعل عصر استجابات الجمهور الرشيد.

سوف أقوم فى الصفحات الآتية بتحليل تعليقات الجمهور على خطبة أوباما فى القاهرة من زاوية العلاقة بين سلطة النص الأصلى وسلطة التعليق، ومن زاوية مدى تمثيل هذه التعليقات لنموذج الاستجابات البليغة، الذى تنشده بلاغة الجمهور.

تعليقات الجمهور على خطبة أوباما: مقاومة سلطة الخطابات الجماهيرية

يمكن أن نرصد عددا من الملاحظات بشأن تعليقات القراء على هذا التسجيل الحى لخطبة أوباما.

أولا: التنوع اللغوى والأسلوبى

المعلقون على الخطبة يستخدمون لغات مختلفة؛ فبعض التعليقات كُتبت بالإنجليزية، فى حين كتبت تعليقات أخرى بالعربية، وتضمنت بعض التعليقات كذلك مزجا بين اللغتين. وثمة تنوع فى مستويات الأسلوب داخل اللغة الواحدة؛ فبعض التعليقات كُتبت بلغة عربية فصحى سليمة، فى حين مَزجت تعليقات أخرى بين الفصحى والعامية، أو كُتبت بعامية خالصة. وقد لجأ بعض الكتاب إلى كتابة كلمات عربية بحروف لاتينية، مثل: La 7awl elah ya raby walahy ehna nas tayebeen (لا حول الله يا ربى، والله إحنا ناس طيبين).

ويشمل هذا التنوع أيضا علامات غير لغوية، مثل تنوع بنط الخط، فبعض التعليقات تستخدم بنطا كبيرا للغاية، بهدف وضع كلمة أو تعبير بعينه فى بؤرة الكلام، وتنوع سُمك الكلام واستخدام حروف متفرقة وتكرار بعض الحروف بهدف إبراز الكلمة، ووضع مسافات بين الحروف لتكبير المساحة التى تأخذها الكلمات. وسوف نرى نماذج لهذه التنويعات فى سياق تحليل هذه التعليقات.

عادة ما تحمل هذه الاختيارات اللغوية والأسلوبية دلالات اجتماعية وسياسية. وعلى سبيل المثال؛ فإن التعليق المكتوب بلغة أجنبية ينطوى على ممارسة خطابية إقصائية؛ لأنه يُبعد من لا يعرف هذه اللغة من دائرة متلقى التعليق. كما أنه قد يحمل دلالات ثقافية أو اجتماعية بشأن هوية الشخص الحقيقية أو المبينة بواسطة التعليق. ومن الجلى أن الذخيرة الخطابية لكتَّاب التعليقات التى تظهر من خلال تعليقاتهم، تكشف الكثير عن ثقافاتهم ومعارفهم من ناحية، وتتطلب آليات وقدرات تلقى متباينة من ناحية أخرى. فبعض التعليقات تتضمن جملا حكمية مثل: (أفلح إن صدق)، أو أبيات شعر مثل التعليق الذى تضمنه البيت القائل:

وغدا يعلم الحقيقة قومى
ليس شيئا على الشعوب بسر

ثانيا: تنوع أشكال التفاعل مع النص الأصلى (خطاب أوباما)

التعليق هو فى الأصل شكل من أشكال التفاعل بين المتلقى وخطاب المتكلم، يُكمل دائرة الحدث التواصلى؛ فمنتج الخطاب ينتج الخطاب، ويقوم بتوزيعه عبر وسائط متعددة- من بينها الإنترنت- حيث يتلقى المخاطَبون هذا الخطاب، ويستجيبون له عبر عدد لا يُحصى من الاستجابات، من بينها التعليقات المكتوبة. ومن الطبيعى أن يكون التفاعل مع النص الأصلى هو الاهتمام الأكبر للمعلقين عليه.

تتعدد أشكال ومستويات تفاعل المعلقين مع النص الأصلى، ويمكن أن نصنِّف هذه التعليقات وفقا لما يأتى:

١- التعليق على أجزاء صغيرة، أو تلفظات جزئية من الخطاب؛ مثل قول أحد المعلقين: سمعتو شو قال آخر شى؟ قال: "قوة كياننا كاملة فى اتحادنا". طب ليه إحنا العرب مش متحدين؟ ليه؟ شو الغلط فينا؟ بدنا دا الهيك فاشلين؟

٢- التعليق على مجمل الخطاب؛ مثل العبارة التالية التى اكتفى بها أحد المعلقين: "صح يا خويا.. كلامك صحيح".

تنطوى العبارة الأخيرة على تناص مع برنامج فكاهى شهير، كان يُذاع فى الإذاعة المصرية تحت عنوان "ساعة لقلبك"، والعبارة هى لازمة كلامية لإحدى الشخصيات الفكاهية هو "الدكتور شديد"، الذى كوَّن مع "الخواجة بيشو"، ثنائيا شهيرا، اتخذ من تيمة الكلام الفانتازى غير المعقول، الذى يحلِّق فى الخيال، والذى يفتقد أدنى صلة بالحقيقة موضوعا لإضحاك الجمهور. وعادة ما كان "الدكتور شديد" ينطق العبارة الواردة فى التعليق عندما يصل كلام "الخواجة بيشو" إلى أقصى درجات اللامعقول والخرافية. وينطوى التناص مع البرنامج الفكاهى على إيحاءات ضمنية بمجانبة كلام أوباما للحقيقة، واندراجه فى إطار المبالغات والفانتازيا. كما يُنجز التناص سخرية تفنيدية، من

خلال الإيحاء بالتماهى بين شخصية "الخواجة" بيشو الفشّار، و"الخواجة" أوباما.

٣- الإشارة إلى السياق لإضاءة التلفظ: فبعض التعليقات تحاول توجيه التأويلات الممكنة لكلام أوباما بواسطة الإشارة إلى السياق الخارجى؛ مثل التعليق الآتى:

النظام الأمريكى ماشى على شىء معين، أى رئيس ييجى شغله ينفذ القرارات الموضوعة من قبل ويمشى!!

تؤدى وجهة نظر كاتب التعليق بشأن محدودية تأثير الأفراد فى عمل مؤسسة الرئاسة الأمريكية إلى التشكيك فى مصداقية كلام أوباما، بواسطة تقييد القدرة على تنفيذ ما يعد به. وهو من هذه الزاوية يمارس تفنيدا غير مباشر، فهو لا يتهم أوباما بالكذب بشكل مباشر، وإنما يحيل إلى غياب إمكانيات التنفيذ. وهو يستعين بالإشارة إلى سياقات تداول الكلام بوصفها عنصرا فاعلا فى الحكم على مصداقية الكلام.

٤- مساءلة مقولات الخطاب بواسطة استحضار الخطابات المناقضة؛ وهو ما يتجلى فى المقتطف الآتى من أحد التعليقات:

هو يلقى هذا الخطاب فقط لكسب العرب لجانبه؛ لكن الحقيقة تبدأ من رؤية الفيديو مع خطابه مع إسرائيل، ابحث، على اليوتيوب عن الوجه الحقيقى لأوباما!!!(١٦).

هذا الشكل من أشكال التفاعل مع النص شائع الاستخدام بوصفه أداة تفنيدية؛ فهو يُبرز فجوة المصداقية بواسطة استدعاء الذخيرة الخطابية للمتكلم، ومقارنة تلفظات مختلفة لنفس المتكلم فى سياقات متباينة، أمام جمهور مختلف.

٥- تقديم تلخيصات وشروح للخطبة ككل: مثل التعليق الذى تم بثه على كل الروابط الموجودة للخطبة على الإنترنت تقريبا. ويبدأ بعبارة "باراك أوباما يريد منّا أن:

"Barack Hussain Obama wants us to .....

٦- تعليق الحكم على الخطاب: هناك تعليقات احترازية، تمارس توجيها للأحكام والتقييمات المتعلقة بالحدث الخطابى، من خلال الدعوة لإرجاء الحكم، حتى تتسنى مقارنة الأفعال بالتلفظات. من هذه التعليقات:

مع احترامى .. كله كلام بس .. والحكم راح يكون في المستقبل.

صعب أحكم على بنى آدم من مجرد خطاب أو كلام .. لكن أقدر أحكم على بنى آدم من أفعاله وتصرفاته .. والأيام بيننا.

ثالثا: تأسيس علاقات متنوعة مع المتكلم

١- التوجه للمتكلم مباشرة بالخطاب. هذه صيغة بلاغية يتوجه فيها كاتب التعليق إلى المتكلم الفعلى (أوباما) مباشرة بخطابه، فى حين أن المتلقى الفعلى لكلامه- أى المتلقى المقصود- هم قراء التعليقات. كما فى التعليق الآتى:

يا أوباما سؤال واحد فقط: ..

٢- تقديم أشكال من الانتقاد المباشر وغير المباشر لشخصية المتكلم كما فى المثال الآتى:

أوباما مجرد ثرثار ويجيد فن الخطابات المباشرة أمام الجمهور ....بالعربيى الفصيح مجرررد بووووء.

وقد لجأ كاتب التعليق إلى وسيلة طباعية للتأكيد اللفظى لكلامه، بتكرار أحد الحروف عدة مرات كما فى نحو (مجرررد).

وقد يتم المزج فى هذه الانتقادات بين انتقاد الشخصية ونقد الكلام: كما فى التعليق الآتى:

خـطـاب هـذا الأبـلـه تخـديـرى.

وقد احتفظتُ بالتنسيق الأصلى لهذا التعليق، كنموذج للعلامات الطباعية المؤثرة فى تلقى النص. فقد وضع كاتب التعليق مسافات طويلة بين الحروف ليجعل العين تتمهل كثيرا فى قراءة المفردات، ومن ثمَّ يتيح مساحة زمنية أطول لمعالجة لها دلالتها. كما أن إعطاء مساحة كبيرة للمفردات على الفراغ الافتراضى لصفحة الإنترنت هو شكل

من أشكال التوكيد اللفظى، الذى يجعل المفردات تستحوذ على اهتمام وانتباه مضاعف. ويتدعم هذا بالنطق البطىء الذى ينشأ عن تباعد المسافة بين الحروف.

كثيرا ما يلجأ المشاركون بالتعليقات على الإنترنت إلى تصرفات عديدة لدعم وجهات النظر التى يدعمونها. من بين هذه التصرفات إنتاج أشكال من التوكيد اللفظى، بواسطة التكرار الحرفى لنفس التعليق، ووضعه فى مربعات تعليق متعددة، أو بواسطة التكرار شبه الحرفى للتعليق، عن طريق إجراء إعادة صياغة له، ونشره أكثر من مرة، أو بواسطة إعادة نفس التعليق مرات متوالية فى نفس المربع.

٣- تقديم أشكال من التقريظ المباشر وغير المباشر لشخصية المتكلم: كما فى الأمثلة الآتية:

أوباما يستحق كل تقدير واحترام- لصراحته وجديته.

أوباما رجل صالح وطيب القلب..

أوباما شخصية تستحق الاحترام والإعجاب ليس لأنه رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ولكن لطموحه وقدرته على تحقيق أحلامه وآماله على الرغم أنها كانت من المستحيلات أن يتولى أسود الحكم.

كُتبت التعليقات الثلاثة باسم ثلاث شخصيات، لكنها تتفق فى كونها تستخدم درجات متقاربة من اللغة الفصحى، وثمة تشابه فى المحتوى واستخدام نفس بنط الخط. وهو ما يشير إلى احتمال أن يكون كاتب التعليقات شخصية واحدة. وهى ظاهرة من الظواهر شديدة الشيوع على الفضاء الإلكترونى.

رابعا: أشكال التفاعل بين التعليقات

تتيح الفضاءات الإلكترونية حالة من التفاعل المفتوح بين المشاركين. يتسم هذا التفاعل بأنه متجاوز لحدود الزمان والمكان؛ فأى شخص يمكنه أن يشارك فيه، أيّا تكن البقعة الجغرافية التى يوجد فيها، وأيّا يكُن الزمن الذى يتلقى فيه الخطاب. يعكس تنوع لغة التعليقات الفضاءات الجغرافية والثقافية الواسعة التى ينتمى أصحابها إليها. كما أن هذه التعليقات تمتد على مسافة زمنية طويلة؛ فبعضها كُتب فور انتهاء أوباما من إلقاء خطابه، وحُمِّل على الإنترنت، فى السادس من يونيه ٢٠٠٩، فى حين كُتب أحدثها فى أبريل ٢٠١٢، حين شرعتُ فى إعداد هذه الدراسة. ومن المؤكد أن هذه التعليقات سوف تستمر باستمرار تلقى الحدث الخطابى على الإنترنت، ووجود إمكانية التعليق، وهو ما قد يكون سرمديا.

يبدو هذا التنوع الجغرافى والتفاوت الزمنى شديد الأهمية فى فهم تعليقات الجمهور على الإنترنت. فتنوع الخلفيات المعرفية والثقافية للمعلقين يتيح فرصا ثرية للتواصل الحى عبر الثقافات، ويضمن تنوع المنظورات والرؤى المقارِبة للحدث الخطابى موضع التعليق. أما لا نهائية إمكانية التعليق، فتتيح واحدة من أكثر سمات خطاب التعليق فرادة؛ إذ تصبح التعليقات ذاتها كتابا مفتوحا أمام التاريخ. وهو ما يجعل صفحة الإنترنت تحتفظ بآثار كل تحول فى ظروف تلقى الخطاب؛ إما نتيجة لتغير الصورة الذهنية لمنشئ الخطاب أو لتغير الظروف المحيطة بفهم الخطاب وتأويله، أو غير ذلك من أسباب.

إن الزمن يصهر الخطبة السياسية فى بوتقة الأحداث، وحين يشتد لهيب التحولات تتحول بعض الخطب السياسية إلى ماس أو رماد. وتعليقات القراء هى المرآة التى نرى فيها تحولات الخطب عبر الزمن، وتغير التقدير الذى تحظى به. ومن الشائق تتبع كيف تتحاور التعليقات عبر الزمن.

يكتب أحد المعلقين موجها خطابه إلى أوباما قائلا:

- أوباما لا تفكر العرب هبل .. أنت لم تُدن إسرائيل المحتلة لفلسطين .. وقلت إن من يفجر نفسه فى حافلة جبان إذن هل شجاع من يستعمل (طائرات) إف ١٦ ضد النساء الآمنة. وشكرا.

فيعلق شخص على التعليق ممتدحا كاتبه، قائلا:

لله درك يا بطل ..!!!

يبدو أن تعليقات متلقى خطبة أوباما كانت تتحرك باتجاه الانتقاد الجذرى للخطبة بمرور الوقت. فالتعليقات المكتوبة بعد عامين من إلقاء الخطبة، تتضمن نقدا أكثر لذاعة للخطبة والخطيب معا، مقارنة بما كُتب قبل ذلك. وبعض التعليقات التى كتبت فى الشهور الأخيرة تدخل فى جدل مباشر مع التعليقات الأقدم، فى ضوء مقارنة الكلام الذى تتضمنه الخطبة، بالأفعال المادية التى مارسها أوباما بالفعل.

لا تعولوا على أمريكا أو أوباما.

هناك أشكال أخرى من التفاعل بين كتّاب التعليقات، منها تقديم تعليقات ميتاخطابية، تتضمن ملاحظات على طبيعة الخطاب الذى تؤسسه التعليقات الأقدم، كما فى المثال الآتى، الذى ينتقد فيه كاتب التعليق لغة كاتب تعليق آخر:

الله يخليك يا خوى .. بس خليك متنبه على اللى تكتبه هنا.

وقد انصرفت بعض التعليقات إلى تقييم عناصر ميتاخطابية أخرى، مثل درجة كفاءة الترجمة المصاحبة للخطبة، كما فى التعليق الآتى:

المترجم يصدع الراس.

كذلك توجهت بعض التعليقات إلى انتقاد تعليقات أخرى فى موقفها من الخطبة، كما فى التعليق الآتى:

لماذا كل هذا التعصب الأعمى ... خطاب الرئيس أوباما كله خير للعرب والعالم.

على الرغم من أن كتابة التعليقات تبدو شكليا أقرب إلى حوار ثنائى بين المعلِّق والتلفظ الذى يعلِّق عليه؛ فإنها تتحول عمليا إلى حوارية متعددة الأطراف بين كاتب التعليق وكل كتّاب التعليقات الأخرى، ويتحول التلفظ إلى موضوع أو إطار لحوار المتحاورين. ولعل هذا ما يفسر الطابع التفاعلى المهيمن لمثل هذه التعليقات.

خامسا: تنوع العلاقة مع الجمهور الفعلى المتلقى للخطاب

منذ عقود طويلة أصبح العالم يعيش مرحلة التواصل الحى المتجاوز للزمان والمكان. فالخطبة التى يُلقيها سياسى ما فى بقعة ما من بقاع الأرض يمكن أن يتلقاها أى فرد آخر فى أية بقعة أخرى، إذا وجدت سبيلها إلى أى وسيط إعلامى مسموعا كان أم مرئيا. وهكذا لم تعد الخطابة السياسية سجينة الساحات الشعبية أو القاعات البرلمانية بل زحفت إلى حجرات نوم ومعيشة أبسط البشر الذين يملكون شاشة تليفزيون أو راديو أو كمبيوتر أو هاتف محمول. وترتب على ذلك تعدد أنواع جمهور الخطبة السياسية من حيث طبيعة تلقيهم للخطبة، وإمكانية الدمج بين استجابتهم وخطاب المتكلم، وعادة ما نجد نوعين من الجمهور:

١) الجمهور المشارك: هو الذى يتلقى الخطبة السياسية بشكل مباشر دون وسيط إعلامى، ويستطيع أن ينقل استجابته للخطيب بشكل مباشر دون وسيط إعلامى أيضا. وهو يتكون من الأشخاص الحاضرين فى نفس مكان إلقاء الخطبة، ممن يستطيعون رؤية الخطيب وسماعه ويستطيع الخطيب رؤيتهم وسماعهم بشكل مباشر. وهو جمهور مشارك لأن وجوده مكمِّل للحدث الخطابى؛ فهو يشارك فى إنتاج الحدث؛ لأن الاستجابة التى يقوم هذا الجمهور بإنتاجها تُعد جزءا من خطاب المتكلم ذاته.

٢) الجمهور غير المشارك: هو الذى يتلقى الخطبة عبر وسيط؛ قد يكون سمعيا كالإذاعة، أو مرئيا كشاشات العرض العملاقة أو الكمبيوتر أو التليفزيون. وهؤلاء لا يستطيعون- فى كثير من الحالات- نقل استجاباتهم بشكل مباشر للخطيب. ومن ثمَّ فإن هذه الاستجابات لا تُدمَج فى خطاب المتكلم. هذا الجمهور غالبا ما يكون الأكثر عددا وأهمية بالنسبة إلى المتكلم. وعلى الرغم من أن استجاباته لا تصل إلى المتكلم بشكل مباشر؛ فإن

هذه الاستجابات قد تكون الغاية النهائية للخطاب نفسه(١٧).

تعكس التعليقات الموجودة على النسخ المسجلة من خطبة أوباما وجود أشكال من التفاعل بين الجمهور المشارك الذى تلقى الحدث مباشرة بشكل حى دون وسيط إعلامى، والجمهور غير المشارك الذى تلقى الحدث عبر وسيط الإنترنت. والملاحظ أن هذه التعليقات تتحرك فى اتجاه واحد هو انتقاد الجمهور غير المشارك للجمهور المشارك. قد يتوجه هذا الانتقاد إلى الجمهور المشارك فى مجمله، كما فى التعليقات الآتية:

اللى قاعدين يصفقون قسما بالله أهانوا المسلمين. كيف نُخدع هكذا؟! يثرثر هذا الكاذب وأنتم تصدقون.

مدرى ليش يصفقون له.

والعرب مصدقين .. يصفقون .. خل الكلام العاطفى اللى قاله وشوف الكلام الرئيسى.

La 7awl elah ya raby walahy ehna nas tayebeen da bey2ol kelmeteen kda yen-yamena behom w howa al3an men baush!!!! (لا حول لله يا رب، والله إحنا ناس طيبين، ده بيقول كلمتين كده ينيمنا بيهم، وهو ألعن من بوش!!!).

وقد يقتصر الانتقاد على شريحة معينة من الجمهور، كما فى التعليق الآتى:

قال السلام عليكم صفقوا له المصاروه.

من الواضح أن القدر الأكبر من التعليقات على الخطبة كانت تخص الاستجابات الاستحسانية التى أنتجها الجمهور المشارك، أثناء تلقيه لها. وقد نالت استجابة التصفيق النصيب الأكبر من الانتقاد. ويبدو هذا طبيعيا فى إطار التعليق على أحداث التواصل الجماهيرى؛ حيث تستحوذ استجابات الجمهور الفعلى على قدر من اهتمام المعلقين. وكثيرا ما تكون هذه التعليقات انتقادية؛ بخاصة فى سياقات التواصل السياسى العربى الذى يعرف أشكالا عديدة من تنظيم استجابات الجمهور، ومستويات متنوعة من الإكراه على إنتاج استجابات الاستحسان(١٨).

تعليق ختامى: الخطاب والسلطة فى الفضاء الافتراضى

يكشف التحليل السابق لتعليقات الجمهور على خطبة أوباما عن بعض ملامح التغير الحادث فى قدرة المتلقين العاديين على نقد الخطاب الجماهيرى وتفنيده. لقد أصبحت الاستجابات الآنية التى ينتجها متلقو الخطابات الجماهيرية، والتى تلازم عملية تلقيها، عاملا محددا لمدى تأثير هذه الخطابات فى الجمهور. وعلى الرغم من عدم وجود إحصاءات دقيقة بشأن مدى هذا التأثير أو كيفية حدوثه، فإننا لا نملك إلا الإقرار بوجوده. عادة ما يتخذ هذا التأثير مسارين: إما باتجاه تعزيز قوة الخطاب أو إضعافها. ويبدو أن تعليقات الجمهور على خطاب أوباما تصب فى مسار إضعاف قوة الخطاب، بحرصها على إضعاف مصداقية المتكلم، والتشكيك فى غاياته ومراميه، وتفنيد الكلام، ونقد الاستجابات المستحسنة له. وهكذا تقدم بعض هذه التعليقات نموذجا للاستجابة البلاغية التى تسعى إلى تعرية الخطابات التى قد تُدرَك بوصفها متلاعبة.

المساهمة الثانية: التعدد العلاماتى بوصفه خاصية للعالم والنصوص

لقد اشتهر وصف العالم الراهن بأنه عالم الصورة، وذلك فى مقابل ما يمكن أن يُدعى عالم الكلمة logos، الممتد منذ الحضارة اليونانية القديمة حتى أوائل القرن العشرين. فالصورة والحركة والصوت واللون والإشارة وغيرها من العلامات، أصبحت تشكل- بمعية الكلمة- العصب الأساسى للتواصل البشرى. وقد كانت المكانة المتنامية التى تحوزها العلامات غير اللغوية فى التواصل الجماهيرى المعاصر وراء التغير الجذرى فى مقاربات الخطاب بحسب ما أوضحتُ فى مقدمة هذا البحث.

سوف أتناول فى هذا الجزء التحليلى علامة بصرية من منظور تحليل الخطاب، هى صور ميدان التحرير، أحد ميادين الربيع العربى. وسوف أحاول تطوير بعض المفاهيم لاستكشاف الوظائف التى تقوم بها هذه العلامة التى تنتمى إلى خطاب اصطُلح على تسميته بـ"الربيع العربى".

ميدان التحرير بوصفه فضاء بلاغيا

أستخدم مصطلح "الفضاء البلاغى" لأعنى به ذلك الحيِّز الذى يقوم بوظائف مهمة فى إنجاز عمليتى إقناع الجمهور والتأثير فيه. من المألوف التعامل مع المكان بوصفه فضاء بلاغيا فى بعض الفنون مثل المسرح وصالات عرض الفن التشكيلى. مع ذلك، غالبا ما تكون هذه الأماكن "صناعية"؛ أى مجهزة خصيصا للنشاط الفنى الذى يحدث فيها. لكن بعض الأماكن الطبيعية قد تتحول إلى فضاء بلاغى فى بعض الحالات حين تصبح وعاء لأنشطة تواصلية ذات طابع نفعى أو جمالى. وهو ما حدث فى حالة ميدان التحرير.

من بين أيقونات عديدة تختزن داخلها ملامح الثورة المصرية فإن صور ميدان التحرير الملتقطة من أعلى، مُظهرة الميدان وهو يفيض بالثوار، هى إحدى أكثر الصور المتداولة دلالة على الثورة. فى مثل هذه الصور يتحول الميدان إلى فضاء جمالى بأعلامه المرفرفة، ومساحته الشاسعة التى تحيط بها واجهات المبانى القديمة.

بالإضافة إلى أيقونية ميدان التحرير، حملت صور الميدان دلالات رمزية أخرى. فقد تشكلت علاقة كنائية بين الميدان والثورة. وكان امتلاء فضاء الميدان بالمحتجين، يُنتج معانى استلزامية مثل اشتداد عود الثورة واتساع نطاقها. وهو ما يمكِّن صور الميدان المكتظ بالبشر من إنجاز أفعال مادية ملموسة مثل التهديد، ففيضان التحرير ببشره يمكن أن يكون مؤشرا على أن الفضاء الذى أصبح لا يتسع لهم سوف يطردهم باتجاه فضاءات أخرى. هذا التهديد دعمته استعارة مفهومية هى استعارة "الثورة وعاء"، وككل الأوعية فإن لها سعة معينة، يهدد تجاوزها إما بالفيضان أو الانفجار. وربما لم يكن من المستغرب أن استعارتى فيضان المحتجين أو انفجارهم تكررتا بشكل نسقى فى الخطابات المحلية والعالمية الداعية إلى تخلى الرئيس المصرى المخلوع حسنى مبارك عن السلطة.

وربما لم يكن من المصادفة أن التخلى عن السلطة جاء إثر فيضان الميدان بمحتجيه. فحين امتلأ الميدان حرفيا تحركت جموع المحتجين نحو الشوارع المحيطة بالتحرير قُبيل التنحى بيومين، وواصلوا الزحف عشية إعلان بيان التنحى نحو قصر القبة- مقر إقامة الرئيس السابق وأسرته أثناء الثورة- وقصر التين بالإسكندرية. وبالطبع فإن الدلالات الإيحائية والمباشرة التى ولدتها صور الميدان كانت مهمة فى حسم الصراع. ولعل الصور التى كانت تلتقطها الطائرات المحلقة فى السماء- فى معظم أيام الثورة- دالة على الوظائف المادية التى يمكن أن تُنجزها صور الميدان.

الفضاء البلاغى وإشكاليات التمثيل

يثير التمثيل المرئى لفضاءات بلاغية مثل ميدان التحرير تحديات وتساؤلات عديدة. فاختيار البؤرة، والمنظور، والمسافة، ودرجة الإضاءة، وغيرها من تقنيات التصوير، تتحول إلى عمليات تمثيلية عادة ما تعكس موقفا ورؤية للحدث الذى يحتويه الفضاء البلاغى. ومن الطبيعى أن تزداد أهمية مثل هذه التمثيلات المرئية فى الوقت الراهن الذى تمارِس فيه الصور تأثيرات هائلة فى الوعى والفعل الإنسانى. سوف أتوقف فى هذه الورقة عند مسألة واحدة هى كيف يتم إضعاف أو تعزيز القوة الإنجازية للفضاء البلاغى بواسطة التمثيل المرئى.

لقد أصبح من المبرهَن عليه بإسهاب أن اللغة لا تصف الواقع أو تحكم عليه فقط؛ بل إنها تُحدث أفعالا مادية تُغيِّر الواقع وتُشكله. هذه الفكرة التى أصبحت الآن من المتعارف عليه تدين بوجودها

لإسهامات فلاسفة لغة مثل: جون أوستن وجون سيرل حول أفعال الكلام[١٩]. وما سوف أقوم به فى الصفحات الآتية، هو محاولة نقل الأفكار التقليدية حول أفعال الكلام من مجال اللغة إلى مجال الصورة. ساعيا إلى استكشاف نوعية الأفعال التى تنجزها الصورة، من ناحية، والعلاقة بين التمثيلات المختلفة للصورة وتغير القوة الإنجازية لها من ناحية أخرى.

لقد ذكرتُ فيما سبق أن صور الميدان- كما تبثها وسائل الإعلام- تُنجز أفعالا كلامية speech acts كثيرة. فصور الميدان الممتلئ عن آخره بالمحتجين قد تُنجز فعل تهديد السلطة القائمة، ودفعها إلى اتخاذ أفعال مادية قد تكون تقديم التنازلات أو استخدام مناورات جديدة .. إلى آخره. كما يمكن أن تُنجز فعل الشحن المعنوى والانفعالى للمشاهدين المتعاطفين مع الاحتجاجات، وفعل التحريض على الانضمام إليها.. إلى آخره. ولأن هذه الأنواع من أفعال الكلام شديدة الأهمية فى حسم نتائج الاحتجاجات السلمية؛ فإنه عادة ما تلجأ الأطراف المتصارعة إلى إنتاج تمثيلات متباينة للفضاء البلاغى تحقق أهدافها فى تعزيز أو إضعاف القوة الإنجازية لصور هذا الفضاء. وسأتوقف هنا أمام عدة طرق لإنتاج مثل هذه التمثيلات المتباينة.

التجاهل والاستبدال والإزاحة: ما لا يُرى لا يوجد

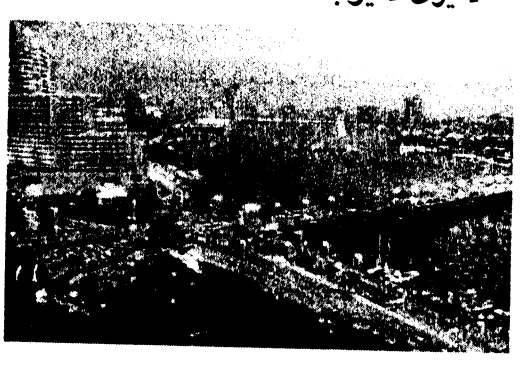

على مدار الأيام الأولى من الثورة كان التليفزيون المصرى الحكومى يتجنب كلية نقل مشاهد حية من ميدان التحرير، فى محاولة تقليدية لإلغاء الحدث عن طريق إخفائه عن العيون؛ حيث يؤمل أن يكون ما لا يراه البعض لا يوجد عند الجميع. وحين أصبح الميدان ضيفا متصلا على شاشة القنوات العربية، كان مصورو التليفزيون المصرى يركزون على مشهد متصل للكورنيش الموازى للميدان وكوبرى قصر النيل، ليصبح النهر بديلا للميدان.

تثبيت الصورة وسرمدية الزمن: "التحرير منذ قليل"

لقد كان تثبيت إحدى الصور الملتقطة للميدان وسيلة من وسائل تعزيز أو تقويض القوة الإنجازية للميدان. فبعض القنوات- مثل قناة الجزيرة القطرية- عمدت إلى تثبيت صور للميدان فى ذروة احتشاده بالمحتجين، وعرضها على الشاشات مع عبارة "التحرير منذ قليل"، أو "التحرير: صورة أرشيفية" أو "التحرير اليوم"، أو مجرد تثبيت الصورة دون أى تعليق. وبالمثل فقد عمدت قنوات أخرى- مثل قناة المحور المملوكة لأحد رجال الأعمال المنتمين للحزب الوطنى المصرى المنحل- إلى تثبيت صور شبه فارغة لميدان التحرير، وتقديمها على أنها بث حى منه. وشتان بالطبع بين التأثيرات التى يمكن أن يُحدثها كلا التمثيلين للفضاء المكانى نفسه.

اللقطات القريبة والبعيدة: ثنائية التهوين والتهويل

من الوسائل التى استخدمت لتعزيز أو تقويض القوة الإنجازية للميدان الاختيار بين اللقطات القريبة أو البعيدة. فبعض القنوات كانت تعمد إلى عرض لقطات بعيدة للميدان يتم فيها تبئير الفراغ على حساب البشر. وعلى العكس من ذلك حرصت قنوات أخرى على تقريب الكاميرا بشدة من وجوه المحتجين، مع التركيز على مناطق احتشادهم، وهو

ما يضع البشر فى البؤرة وليس الفراغ. وهذه التقنية يمكن أن توازى ظاهرة التلطيف والتهويل اللفظى فى خطاب اللغة(٢٠).

خاتمة

لقد تتبعت على مدار الصفحات السابقة بعض الآفاق الواعدة لتحليل الخطاب. وقدمت تأسيسا نظريا لإمكانيات التضافر بين تحليل الخطاب والبلاغة من ناحية، والسيميائية من ناحية أخرى. تكشف هذه الآفاق عن خصيصتين جوهريتين لتحليل الخطاب: الأولى هى انفتاحه المتزايد على العلوم الإنسانية المختلفة، واستعانته الدائمة بمفاهيمها وإجراءاتها؛ فتحليل الخطاب يدرس اللغة فى الاستعمال الفعلى فى المجتمع، ويجعله هذا دوما فى علاقة تفاعل مع علوم اللغة وعلوم المجتمع وعلوم الإنسان، الذى يُنتج اللغة ويُنشئ المجتمع. أما الخاصية الثانية فهى أن شطرا كبيرا من الجهود البحثية لمحللى الخطاب تُحركها فى اللحظة الراهنة غايات أخلاقية؛ مثل مقاومة الظلم الاجتماعى والتضليل السياسى. وربما كانت هذه الخاصية من بين أهم ما يميز تحليل الخطاب عن كثير من العلوم الإنسانية.

الهوامش :

(١) انظر van Dijk, T .(2007). (ed) **Discourse Studies .Sage Benchmark Series** .New Delhi: Sage, vol 1, p. 7-25.

(٢) من علامات هذه الأهمية تخصيص أعداد كاملة من دوريات مهمة لمناقشة هذه الظاهرة، مثل العدد الخاص الذى تعده دورية "**الدراسات النقدية للخطاب**" **Critical Discourse Studies**، حول موضوع "التحليل النقدى للخطاب متعدد العلامات"، ويتوقع صدوره فى نهاية عام ٢٠١٣.

(٣) انظر على سبيل المثال:

Kress, G., and T .van Leeuwen: (1996) .**Reading Images: The Grammar of Visual Design**. London: Routledge .

- Kress, G .and T .van Leeuwen .(2001) .**Multimodal Discourse: The Modes and Media of Contemporary Communication** .Arnold: London.

(٤) يتعامل البعض مع التسميتين على سبيل الترادف، إذ تشيران إلى الحقل المعرفى نفسه المعنى بدراسة العلاقة بين الخطاب والسلطة، والذى خرج من رحم ما يُعرف باللغويات النقدية Critical Linguistics. فى حين يرى باحثون آخرون مثل فان ديك van Dijk أن الحقل المعرفى لـ"الدراسات النقدية للخطاب" أوسع من "التحليل النقدى للخطاب". انظر:

Wodak, R .and M .Meyer (eds) **Methods of Critical Discourse Analysis** .London: Sage.

(٥) هناك كتابات كثيرة حول أهمية علم لغة المدونات لدراسات التحليل النقدى للخطاب، من أهمها:

Hardt-Mautner, G.(1995)' .**Only Connect '.Critical Discourse Analysis and Corpus Linguistics [Electronic Version]** .Unit for Computer Research on the English Language Technical Papers 6, Lancaster University .Retrieved pdf 4/12/2012 from http://ucrel.lancs.ac.uk/papers/techpaper/vol6.

Mautner, G .(2005) .**Time to get wired: Using web-based corpora in critical discourse analysis .Discourse & Society**, 16(6), 809-828.

Baker, P., **Gabrielatos, C., Majid KhosraviNik**, Krzyzanowski, M., McEnery, T., & Wodak, R .(2008) A useful methodological synergy? **Combining critical** discourse analysis and corpus linguistics to examine discourses of refugees and asylum seekers in the UK press .**Discourse & Society**, 19(3), 273-306.

Mautner, G .(2009) .Corpora and critical discourse analysis .In P .Baker (Ed)., **Contemporary Corpus Linguistics** (pp. 46-32) London: Continuum.

(٦) من هذه الأعمال:

Fairclough, N (Ed.) (.(1992) .Critical Language Awareness .London Longman، .Gelber, K. (2002) **Speaking Back: the Free Speech versus Hate** Speech Debate وكذلك .Amsterdam; Philadelphia: J .Benjamins Pub .Co

(٧) انظر: عبد اللطيف، عماد: (٢٠٠٥). بلاغة المخاطَب: البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوى إلى مقاومته. ضمن **Power and the Role of the Intellectual**، كلية الآداب، جامعة القاهرة. ص ص٧-٣٦. وكذلك انظر، Abdul-Latif, E .(2011) .Interdiscursivity between political and religious discourses in a speech by Sadat: Combining CDA and addressee rhetoric .**Journal of Language and Politics** 10:1 (2011), 50-67 Amsterdam: John Benjamin's

(٨) انظر:

Van Dijk, T .(2003). "**Critical Discourse Analysis**", in D .Schiffrin D., D., Tannen and H.E. Hamilton (eds.) The Handbook of Discourse Analysis, Blackwell Publisher. p. 352.

(٩) انظر:

Fairclough, N .(1992) .**Language and Power** .London; New York: Longman. p. 1,3.

(١٠) انظر:

Fairclough, N .(1992) .**Discourse and Social Change** .UK;"Cambridge, MA:"Polity Press. p. 73.

(١١) انظر:

Blommaert, J .and C .Bulcaen .(2000).'Critical Discourse Analysis" .Annual Review of Anthropology 29, pp 447-66. pp448, 449..

(١٢) انظر: أمين، جلال: **مصر فى عصر الجماهير الغفيرة** (القاهرة، دار الشروق، ط٣، ٢٠٠٩).

(١٣) لعرض متميز للتغيرات التى طرأت على مفهوم الجمهور بفضل أشكال التواصل فى الفضاء الافتراضى، يمكن الرجوع إلى:

Sharon E .Jarvis, John Durham Peters, Joseph B .Walther. "**Audience**" .In Sloane, T .Ed. (2006)Encyclopedia of Rhetoric .Oxford: Oxford University Press..

(١٤) لاستعراض نقدى لهذه المحاورة، ولتصورات أفلاطون حول البلاغة عموما، يمكن الرجوع إلى: عبد اللطيف، عماد: (٢٠٠٨). "موقف أفلاطون من البلاغة من خلال محاورتى جورجياس وفيدروس"، **مجلة جامعة الشارقة للعلوم الاجتماعية والإنسانية**، مجلة علمية محكّمة، (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، مجلد ٥، عدد ٣ (٢٠٠٨)، ص ٢٢٧، ٢٤٤.

(١٥) انظر: عبد اللطيف عماد، مرجع سابق، ٢٠٠٨، ص ص٢٣٢-٢٣٣.

(١٦) احتوى هذا التعليق على العديد من الأخطاء الإملائية، التى لم تؤثر فى المعنى.

(١٧) انظر: عبد اللطيف، عماد: **لماذا يصفق المصريون؟ بلاغة التلاعب بالجمهور فى السياسة والفن** (القاهرة، دار العين، ٢٠٠٩)، ص ص ٢٢٦-٢٢٧.

(١٨) لتحليل تفصيلى لأساليب حفز الجمهور أو إكراهه على إنتاج استجابات استحسانية فى سياق تلقيه للخطاب السياسى فى العالم العربى، يمكن الرجوع إلى: عبد اللطيف عماد: مرجع سابق، ٢٠٠٩، ص ص ٩١-٢٣٣.

(١٩) انظر على سبيل المثال:

Austin, J .(1962) .**How to do Things with Words** .Oxford: Oxford University Press .،Searle, J. (1969) .**Speech Acts: An Essay in the Philosophy of Language** .Cambridge: Cambridge University Press.

(٢٠) لمزيد من المعلومات عن ظاهرة التلطيف اللفظى يمكن الرجوع إلى:

Allan, K & K .Burridge .(2006) .**Forbidden Words: Taboo and the Censoring of Language**. .Cambridge: Cambridge University Press

المصادر والمراجع

أولا: مصادر ومراجع عربية

- إصدار إلكترونى من خطبة أوباما فى القاهرة، تاريخ الدخول ١٠ أبريل ٢٠١٢، على الرابط الآتى:
http://www.youtube.com/watch?v=zhwVZAhURWA

- أمين، جلال: **مصر فى عصر الجماهير الغفيرة** (القاهرة، دار الشروق، ط٣، ٢٠٠٩).

- عبد اللطيف، عماد: "بلاغة المخاطَب: البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوى إلى مقاومته". ضمن **Power and the Role of the Intellectual**، (كلية الآداب، جامعة القاهرة. ص ص ٧-٣٦).

- عبد اللطيف، عماد: "موقف أفلاطون من البلاغة من خلال محاورتى جورجياس وفيدروس"، **مجلة جامعة الشارقة للعلوم الاجتماعية والإنسانية** (الإمارات العربية المتحدة، مجلة علمية محكّمة، الشارقة، مجلد ٥، عدد ٣، ص ص ٢٢٧-٢٤٤).

- عبد اللطيف، عماد: **لماذا يصفق المصريون؟ بلاغة التلاعب بالجمهور فى السياسة والفن** (القاهرة: دار العين، ٢٠٠٩).

ثانيا: مراجع أجنبية

- Abdul-Latif, E .(2011) .Interdiscursivity between political and religious discourses in a speech by Sadat: Combining CDA and addressee rhetoric .**Journal of Language and Politics** 10:1 (2011), 50-67 .Amsterdam: John Benjamin's.

- Allan, K & K .Burridge .(2006) .**Forbidden Words: Taboo and the Censoring of Language** .Cambridge: Cambridge University Press.

- Austin, J .(1962) .**How to do Things with Words** .Oxford: Oxford University Press.

- Baker, P., Gabrielatos, C., Majid KhosraviNik, Krzy. anowski, M., McEnery, T., & Wodak, R .(2008) .A useful methodological synergy? Combining critical discourse analysis and corpus linguistics to examine discourses of refugees and asylum seekers in the UK press .**Discourse & Society**, 19(3), 273-306.

- Blommaert, J .and C .Bulcaen .(2000) .Critical Discourse Analysis" .**Annual Review of Anthropology** 29, p.p 447-66.

- Fairclough, N .(2987) .**Language and Power** .London; New York: Longman.

- Fairclough, N .(1992) .**Discourse and Social Change** .UK;تCambridge, MA:"Polity Press.

- Fairclough, N (Ed.) (1992) .**Critical Language Awareness** .London: Longman .

- Gelber, K .(2002) .**Speaking Back: the Free Speech versus Hate Speech Debate** .Amsterdam; Philadelphia: J .Benjamins Pub .Co

- Hardt-Mautner, G .(1995). "Only Connect '.Critical Discourse Analysis and Corpus Linguistics [Electronic Version] .**Unit for Computer Research on the English Language Technical Papers** 6, Lancaster University .Retrieved 4/12/2012 from HYPERLINK http://ucrel.lancs.ac.uk/papers/techpaper/vol6.pdf.

- Kress, G .and T .van Leeuwen .(2001) .**Multimodal Discourse: The Modes and Media of Contemporary Communication** .Arnold: London.

- Kress, G., and T .van Leeuwen .(1996) .**Reading Images: The Grammar of Visual Design**. London: Routledge .

–Mautner, G .(2005) .Time to get wired: **Using web-based corpora in critical discourse analysis** .**Discourse & Society**, 16(6), 809-828.

- Mautner, G .(2009) .Corpora and critical discourse analysis .In P .Baker (Ed)., **Contemporary Corpus Linguistics** (pp .32-46). London: Continuum.

- Searle, J .(1969) .Speech Acts: **An Essay in the Philosophy of Language** .Cambridge: Cambridge University Press.

- van Dijk, T .(2003)" .Critical Discourse Analysis", in D .Schiffrin D., D., Tannen and H.E. Hamilton (eds.) **The Handbook of Discourse Analysis**, Blackwell Publisher.

- van Dijk, T .(2007) (ed) .(.**Discourse Studies** .Sage Benchmark Series .New Delhi: Sage, vol 1, pp7-25.

Wodak, R .and M .Meyer (eds.) (2008) .**Methods of Critical Discourse Analysis** .London: Sage.